

رسالة اليوم العالمي للمسرح ٢٠١٨ - الأمريكتين

سابينا بيرمان، المكسيك

مؤلفة وكاتبة مسرحية وصحفية.

فلنتخيل:

ترمي القبيلة أحجاراً صغيرة لإسقاط الطيور من السماء، في الوقت الذي يهجم فيه ماموثٌ عملاقٌ داخلًا في المشهد ويزارٌ بشدة - وفي اللحظة نفسها، يزار إنسانٌ صغيرٌ مقلداً الماموث، ثم يهرب الجميع ...

هدير الماموث ذلك الذي نطقت به الأنثى البشرية - أود أن أتخيل أنها كانت امرأة - هو أصل ما يجعلنا الأنواع الحية التي نحن عليها اليوم، نوعٌ حيٌّ قادر على تقليد ما لسنا عليه، نوعٌ حيٌّ قادرٌ على تمثيل الآخر.

لنقفز عشر سنواتٍ أو مائة سنةٍ أو ألف سنةٍ إلى الأمام، تعلمت القبيلة كيف تقلد الكائنات الأخرى: في أعماق الكهف وعلى ضوء النار الخافت، يلعب أربعة رجالٍ دور الماموث بينما تلعب ثلاث نساء دور النهر، ويلعب الرجال والنساء الآخرون دور الطيور وحيوانات البونوبو والأشجار والغيوم: تمثل القبيلة طقوس الصيد في الصباح وبذلك يلتقطون الماضي بمواهبهم المسرحية، والأكثر إثارةً للدهشة هو أن القبيلة حينها تخرع سيناريوهاتٍ محتملةٍ للمستقبل وتكتب الطرق الممكنة لقهر الماموث، عدو القبيلة.

ثم تتطور أصوات ذلك الهدير والتصفير والتمتمة - المحاكاة الصوتية التي شكّلت مسرحنا الأول - لتصبح لغةً لفظية، وتتطور اللغة المنطوقة لتصبح لغةً مكتوبة، وفي المسار الآخر يتطور المسرح ليصبح شعيرةً ثم سينما.

ولكن بمحاذاة هذه الأشكال الأخيرة وفي أصل كلِّ منها، يستمر وجود المسرح دائماً ليكون أبسط شكلٍ من أشكال التمثيل بل الشكل الحي الوحيد للتمثيل.

المسرح: كلما كان أبسط، كلما ربطنا بحميميةٍ أكثر بالمهارة البشرية الأكثر مدعاةً للإعجاب، ألا وهي تمثيل الآخر.

اليوم وفي كل مسارح العالم نحتفل بهذه المهارة البشرية المجيدة وهي الأداء، نحتفل بالتمثيل، وبالتالي نحتفل بالتقاط ماضيها - وابتداع سيناريوهاتٍ محتملةٍ للمستقبل يمكن أن تجلب للقبيلة مزيداً من الحرية والسعادة.

ما هي حيوانات الماموث التي يجب القضاء عليها اليوم من قبل القبيلة البشرية؟ من هم أعداؤها المعاصرون؟ وهذا المسرح الذي يطمح ليكون أكثر من مجرد ترفيه، ما الذي يجب أن يمثلته؟

بالنسبة لي، أعظم ماموثٍ هو غربة القلوب البشرية، وفقدان قدرتنا على الشعور بالآخرين: على الشعور بالتعاطف مع إخواننا من البشر ومع أشكال الحياة غير البشرية.

يا لها من مفارقة! اليوم، وعلى ضفاف الشواطئ الأخيرة للإنسانية - للحقبة الأنثروبوسينية - وفي العصر الذي أضحت فيه الكائنات البشرية هي القوة الطبيعية التي غيرت كوكب الأرض أكثر من غيرها وستستمر في القيام بذلك، أصبحت مهمة المسرح - في رأيي - عكس المهمة التي

جمعت القبيلة عندما تم أداء المسرح في الجزء الخلفي من الكهف: اليوم ، يتوجب علينا إنقاذ ما يربطنا بالعالم الطبيعي.

أكثر من الأدب وأكثر من السينما، يتناسب المسرح - الذي يتطلب حضور البشر أمام غيرهم من البشر - بشكلٍ رائعٍ مع مهمة إنقاذنا من التحول إلى خوارزميات وإلى تجريديةٍ خالصةٍ.

لنقم بإزالة كل الزوائد عن المسرح، لنجرّده ونتركه عارياً، لأنه كلما كان المسرح أبسط، كلما ذكرنا أكثر بالشيء الوحيد الذي لا يمكن إنكاره: أننا موجودون في الوقت المناسب، أننا موجودون الآن فقط تكسونا هذه الأجساد وهذه العظام وتنبض قلوبنا في صدورنا، أننا نحن الزمان والمكان، ولا أكثر من ذلك.

فليحيا المسرح، الفن الأكثر قدماً، فن الوجود في الحاضر، الفن الأكثر إدهاشاً، فليحيا المسرح.

ترجمة: حصة الفلاسي

مركز الفجيرة للهيئة الدولية للمسرح – دولة الإمارات العربية المتحدة